Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies **Volume 17, Issue 67**
Islamic Azad University in Jiroft **October 2025**
https://sanad.iau.ir/journal/cls/ **pp. 117-128**

Research Article

From the eloquence of the Holy Quran; Surah Al-Kaferun as an example

Hamed Frozani[1]

Abstract

This article intends to study a number of aspects of semantics and esthetics with in the Quranic surah of "Kaferun" as to its artistic features. The results obtained will be shown by using descriptive analytic mechanisms of Arabic rhetorics including traditional rhetorics or modern rhetorics entitled "a manifestation of expressive miracle of the Holy Quran".

Concerning the analytic method in this article it is good to mention that although traditional analytic methods have maintained their originality and efficiency as yet and are able to discover the rhetorical aspects and linguistic delicacies of texts, the capacities of the method in analyzing text are not completely full – scale in terms of historical evolution and generative trend of linguistics. There fore modern analytic methodologies shall be used in order to know what the unknown angles and the specific delicacies of linguistics of text are.

The article explores a model of creativity and design in which both analytic methods of modern rhetorics and traditional rhetorics have linguistically been used.

Keywords: Surah of Kaferun, Rhetorics of the Holy Quran, Traditional method, Modern method.

How to Cite: Frozani H., From the Eloquence of the Holy Quran; Surah Al-Kaferun as an Example, Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies, 2025;17(67):117-128 .

1 PhD, Department of Arabic Language and Literature, Qom Branch, Islamic Azad University, Qom, Iran.
Correspondence Author: Hamed Frozani

فصلنامه علمی دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
https://sanad.iau.ir/Journal/cls
دوره ۱۷ ، شماره ۶۷
پاییز ۱۴۰۴
صص ۱۲۸-۱۱۷

مقاله پژوهشی

جلوه‌ای از إعجاز بیانی قرآن کریم

حامد فروزانی

چکیده

این پژوهش؛ در پی آن است تا پاره‌ای از ابعاد مربوط بـه معناشناسـی و زیباشناسـی سـوره‌ی «کـافرون» را؛ نظـر بـه مختصّات هنری این سوره، مورد بررسی، قرار دهد و نتـایج حاصلـه را، بـا بهـره جسـتن از سـاز و کارهـای تحلیلـی ـ توصیفی فنّ بلاغت عـربی؛ ـ أعمّ از بلاغت قدیم یـا سـنّتی و بلاغـت جدیـد یـا مـدرن ـ تحت عنـوان «جلـوه‌ای از إعجاز بیانی قرآن کریم»، معرّفی کند.
در رابطه با شیوۀ تحلیلی مورد استفاده در این پژوهش، شایسته است، به این نکته اشاره شود که:
اگر چه شیوه‌های تحلیلی سنّتی، همچنان، اصالت و کارآمدی خود را حفظ نموده و قادر هستند تـا ابعـاد بلاغـی و ویژگی‌ها و ظرایف زبان شناختی متن را، واکاوند، امّا ظرفیت‌های این شیوه، در تحلیل متن؛ به لحاظ تطوّر تـاریخی و جریان زاینده‌ی علم زبان شناسی، کامل و تمام عیار نیست. بنابراین، می‌بایست، برای شناخت زوایـای ناشـناخته و پرداخت به ظرایف خاصّ زبان‌شناسانۀ متن، از شیوه‌های تحلیلی نوین نیز، بهره جست.
رسالت این پژوهش، خلّاقیت و طرّاحی مدلی اسـت کـه در آن از هـر دو شـیوه‌ی تحلیلـی بلاغـت سـنّتی و مـدرن از منظر زبان‌شناسی روز، استفاده شده باشد.

واژگان کلیدی: سوره‌ی کافرون، بلاغت قرآن، شیوه‌ی سنّتی، شیوه‌ی امروزی.

ارجاع: فروزانی، حامد. جلوهای از إعجاز بیانی قرآن کریم، فصلنامه دراسات الادب المعاصر، دوره ۱۷، شماره ۶۷، پاییز ۱۴۰۴، صفحات ۱۲۸-۱۱۷.

۱. دانش‌آموخته دکتری کلام اسلامی، دانشگاه قم، قم، ایران. ایمیل:
نویسنده مسئول: حامد فروزانی
ایمیل: frozanihamed@gmail.com

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فی جيرفت
https://sanad.iau.ir/Journal/cls

السنة ۱۷ ، العدد ۶۷
الخريف۱۴۴۶
صص ۱۲۸-۱۱۷

المقالة البحثية

مِنْ بَلَاغَةِ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ؛ سُوْرَةُ «الْكَافِرونَ» أُنْمُوذَجاً

حامد فروزاني

الملخّص

تصبّ هذه المحاولة المتواضعة في الكشف عن جوانب دلاليّة و أخري جماليّة لسورة الكافرون؛ نَظَراً لبعض تميزاتها الفنّيّة و ذلك بغية الخروج بنتيجة جوهريّة؛ هي التّعريف بجانب ـ وَلو ضئيل ـ من الإعجاز البيانيّ (الادبيّ ـ البلاغيّ) لهذه السّورة المباركة، بالإستعانة من الآليات الإجرائيّة (التّطبيقيّه) التّقليديّة و الحديثة و توظيفها لغرض الكشف عن بعض دلالات هذه السّورة.

فيما يتعلّق بالمنهج الإجرائيّ التّحليليّ، فمن المعترف به أنّ المنهج التّقليديّ، لايزال يحتفظ بإصالته و رونقه في إماطة اللّثام عن الجوانب البيانيّة (البلاغيّة و اللّسانيّة) الجديدة لتحليل النّصّ، حيث ينفث هذا الأخير حياة جديدة في العمليّة التّحليليّة و هذا ما حاولنا القيام به في محاولتنا هذه في تحليل سورة الكافرون، حيث طبّقنا عليها القواعد البلاغيّة و اللّغويّة القديمة و أخري الجديدة المتمثّلة في المناهج العصريّة الّتي استطاعت الي حدّ كبير الولوج في بعض خفايا النّصّ وَ زواياه؛ فالإطّلاع علي دقائقها و لطائفها الفنّيّة؛ تلك الّتي وقفت المناهج القديمة دونها عاجزة؛ نظراً لعدم توفّرها علي آليات اجرائيّة تطبيقيّة؛ رغم غنائها فكريّا و عقليّا.

الكلمات الرئيسة: سورة الكافرون، بلاغة القرآن، المنهج التّقليديّ، المنهج العصريّ.

دکتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، فرع قم، جامعة آزاد الإسلامية، قم، إيران.

المؤلف المُراسل: **حامد فروزاني**

المقدمّة

من المعروف؛ أنَّ المنهج التّقليديّ للبلاغة العربيّة، يتناول في عمليّة درس النَّصّ و معالجته الفنّيّة له، الوحدات الصّغري المتمثّلة في التّراكيب اللّفظيّة؛ سواء المفردة منه أو الجملة مستخدماً في تحليله المبادیء و الأسس البلاغيّة المندرجة تحت ما يسمّي علوم البيان و المعانيّ و البديع الّذي أرسي دعائمه البلاغيّ الكبير؛ «أبويعقوب السّكّاكي» في كتابه الجليل؛ «مفتاح العلوم».

أمّا السّورة الّتي تمَّ الاختيار عليها للإجراء التّحليليّ للمنهج؛ فهي سورة «الكافرون» الّتي رُوي عن المعصوم؛ ـ عليه السَّلام ـ في سبب نزوله: «نزلت السّورة في نفر من قريش» منهم؛ «الحارث بن قيس السّهميّ» و «العاص بن وائل» و «الوليد بن مغيرة» و «الأسود بن عبد يغوث الزّهريّ» و «الأسود بن المطّلب بن أسد» و «أُميّة بن خلف»؛ قالوا: «هَلُمَّ يَا مُحمّد، فَاتّبع ديننا، نتّبع دينك و نشركك في أمرنا كلّه، تعبد آلهتنا، سنة و نعبد إلهك سنة. فَإن كان الّذيّ بأيدينا خيراً ممّا في يديك، كنت قد شركتنا في أمرنا و أخذت بحظّك منه». فقال: «معاذ الله أن أشرك به غيره». قالوا: «فاستلم بعض آلهتنا، نصدقّك و نعبد إلهك». فقال: «حَتّي أنظر مَا يأتِي من عند ربّي». فنزل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾(١) ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾(٢) ﴿وَ لا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾(٣) ﴿وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ﴾(٤) ﴿وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ﴾(٥)

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾فعدل رسول الله صلي الله عليه و آله و سلّم إلي المسجد الحرام و فيه الملأ من قريش، فقام علي رؤوسهم، ثمّ قرأ عليهم حتّي فرغ من السّورة، فأيسوا عند ذلك، فآذوه و آذوا أصحابه. قال إبن عبّاس: «و فيهم نزل قوله»: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾(زمر: ٦٤) (طبرسي، ١٤٠٨، ١٠: ٤٦٣)

أمّا فيما يتعلّق بالمنهج التّحليليّ الّذي اعتمدناه للتّدليل علي أسرار النّصّ الجماليّ و الدّلاليّ، فعمدنا أوّلا؛ المنهج المتداول و الّذي يندرج تحت علوم البيان و المعانيّ و البديع و هو منهج لا يتعدّي في عمليّة تحليل النّصّ، مستوي الوحدات الجزئيّة إلاّ في بعض مباحثه، و ثانياً؛ المنهج التّحليليّ الحديث الّذي يتعّدي الوحدات الجزئيّة أو الصّغري (الالفاظ المفردة و الجملة)، ليصل في مقاربته التّحليلة إلي مستوي النّصّ بِإعتباره، كياناً لغويّاً مستقلاً؛ له سماته الخاصّة؛ حيث يمثّل النّصّ؛ «النّسيح الكلّي الّذي يفرزه المبدع و يعبرّ عن تجربة فنّيّة متكاملة، كما يمتلك ميّزة جديدة؛ تختلف عن تقنيات كلّ جملة علي حدّة.» (علي الفرج، ١٣٧٩: ٢٩)

و علي العموم استثمرنا في هذه الدّراسة التّوصيفيّة التّحليليّة؛ كلاً المنهجين التّقليديّ و الحديث؛ ريثما نخرج بالنّتيجة المتوخّاة؛ بإذن الله تَعالي.

نَصُّ السُّورَة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

﴿قُلْ يا أَيها الْكافِرُونَ ﴾(١) ﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ ﴾(٢) ﴿وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ﴾(٣) ﴿وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ ﴾(٤) ﴿وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾(٥) ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ ﴾(٦) (سُورَةُ الْكافِرُونَ)

قبل أن نلج في صلب الموضوع، يجدر بنا أن نطّلع علي أمرين؛ هما:

اوّلاً: سياق السّورة؛ حيث «قال: رهط من المشركين، للنّبيّ صلّي الله عليه و آله و سلّم: هلمّ؛ فلتعبد ما نعبد و نعبد ما تعبد و نشترك نحن و أنت في أمرنا كلّه، فإن كان الّذي جئت به خيراً ممّا بأيدينا، كنّا قد شركناك و أخذنا بحظّنا منه و إن كان الّذي بأيدينا خيراً ممّا بيدك، كنت قد شركتنا في أمرنا و أخذت بحظّك منه. فأنزلها الله؛ عزّوجلّ» (درويش، ١٤٣٠، ١٠: ٦٠٠)

ثانياً: ألأسلوب الخطابيّ الّذي تتميّز به السّورة، حيث الإلمام به و الإطّلاع عليه يمهّد المجال للباحث أن يستوعب النّصّ بشكل أفضل ممّا يساعده هذا الاستيعاب في فهم الخطوط العريضة للصّورة أو الملامح العامّة لها؛ فالأسلوب الخطابيّ، في سورة «الكافرون»؛ أسلوبٌ غير مباشر؛ إذ وجّه الخطاب فىها إلي الكافرين، بواسطة النّبيّ صلّي الله عليه و آله و سلّم. و يري المفسّرون، أنّ السّرّ الفنّيّ الكامن، ورآء إختيار هذا الأسلوب بعينه؛ هو أنّ الخطاب المباشر، قد ينطوي علي نوع من التّعظيم للمخاطب أو الإعتراف بجدارته للخطاب المباشر، فلو قال مثلاً: «يَا أَيّـهَا الْكافِرُونَ»؛ دون أن يذكر قبل هذا التّعبير، لفظة «قُلْ»، يعرف العربيّ، من هذه الطّريقة في إلقاء الكلام، أنّ مرسل الفكرة أو الّذي يوجّه الكلام، يريد تعظيم الكافرين؛ بإعتبار أنّ خطاب المشافهة يوحي ـ كما هو الشّأن في الثّقافة العربيّة المتداولة ـ تعظيم المخاطب، أو إعلاء شأنه نوعاً مّا. علي هذا الأساس ـ ثمّ توجيه الخطاب، بشكل غير مباشر لتحقيق هدفين معاً؛ هما ـ حسب ما يؤكّد عليه البلاغيّون ـ ليشّرف النّبيّ و يعلي من شأنه إزاء أعدائه أولّا و «ليهين أعدائه و يقلّل من شأنهم؛ كونهم يعبدون الشّيطان و يركنون إلي الطّاغوت».

أمّا فيما يخصّ الأسلوب البنائيّ العام الّذي يتكونّ النّصّ علي أساسه كوحدة مستقلّة مترابطة لها كيانها و شخصيّاتها، فقد استعرضه الاستاذ؛ محمود البستاني كاشفاً دلالاته الفنّيّة المدهشة الّتي تنطوي عليها هذه السّورة، أي؛ سورة الكافرون في عمارتها العامّة، فيقول:

«إنّ السُّورة من حيث الدّلالة الفكريّة؛ تنحصر فِي الذّهاب إلي أنّ لكلّ وجهة نظره العباديّ، بل لكلّ واحد منهم دينه، أمّا المحاورة؛ فهي العنصر الشكليّ الّذي اعتمده النّصّ في تقرير الحقيقة المتقدّمة». (البستاني، ١٤٢٤، ٥: ٤٣٩)

أمّا الصّيغ الفنيّة؛ فقد اعتمدت جملة عناصر أو أدوات، ابرزها؛ عنصر «التّقابل»؛ فـ.. «أنا» تقابل «انتم» و «لا أعبد» تقابل «تعبدون» و «عابدٌ» تقابل «عبدتم»؛ كما أنّ الآية الأخيرة؛ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾تقابلها ﴿وَلِيَ دِينِ ﴾.

يتمّ هذا التّقابل من خلال «التّماثل» أيضاً من حيث الصّياغات المشتركة بين الموقفين؛ مثل الإعتماد علي أدوات النّفي و ضمائر المخاطبة و التّكلّم، و ظاهرة التّماثل تجرّنا إلي ظاهرة التّجنيس الصّوتي، حيث إنّ أصوات «العين»؛ في عبارات: «أَعْبُدُ، تَعْبُدُونَ، عَابِدُونَ، عَابِدٌ، عَبَدْتُمْ» و غيرها من أصوات «النّون و الميم و اللّام» و تظلّ من خلال تكرّرها، أدوات إيقاعيّة متجانسة صوتيّاً، ممّا يضفي جماليّة ملحوظة علي النّصّ و ظاهرة التّجانس، تجرّنا إلي اداة فنّيّة أخري؛ هي: «التّكرار». فتكرار عباراتها بأعينها؛ مثل «عَابِدُونَ»؛ مرّتين و «أَعْبُدُ»؛ مرّتين و «دِينٌ»؛ مرّتين و «لا»؛ أربع مرّات و «ما»؛ أربع مرّات، تجسد أبرز مظاهر الجمال الفنّيّ للنّصّ». (البستاني، ١٤٢٤، ٥: ٤٤٠)

و يضيف الأستاذ؛ قائلاً: «فالنّصّ، بدأ بمخاطبة الكافرين: ﴿لاَ أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ ﴾، حيث يمثّل هذا الاستهلال، أهمّيّة الرّفض لعادة المشركين، ثمّ أتبعه بمخاطبتهم: ﴿وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ﴾حيث يمثّل هذا التّعقيب علي موقفهم ﴿وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ﴾ليست مشروعيّة عدم عبادتهم؛ عبادة محمّد صلّي الله عليه و آله و سلّم، بل اليأس من إمكانيّة إصلاحهم». (المصدر السّابق)

«و يضيف قائلاً و بالنّسبة للكفّار، فالملاحظ؛ أنّ العبارتين المتكرّرتين: ﴿وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ﴾، قد صيغتا، وفق إسم الفاعل «عَابِدُونَ»، ليدلّ علي اليأس من إمكانيّة إصلاحهم في المستقبل؛ امّا بالنّسبة إلي النّبيّ صلّي الله عليه و آله و سلّم؛ فإنّ اسم الفاعل «عابدٌ»، يشير الي المستقبل، قبالة «أعبد» الّتي تشير إلي موقفه الحاليّ. إذن، يمكن ملاحظة السّبب العضويّ الّذي جعل النّصّ، يبدأ بنفي عبادة محمّد صلّي الله عليه و آله و سلّم، أوّلاً لعبادتهم، ثمّ نفي عبادتهم لمحمّد صلّي الله عليه و آله و سلّم و اختلاف الصّيغ الحاضرة و المستقبلة في ذلك.

و يقول أخيراً؛ «فإنّ النّصّ، عند ما ختم محاورته بعبارة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِين ﴾، إنّما توّج بها حصيلة ما تقدّمها من المحاورات النّافيه لكلّ من الطّرفين؛ أي أنّ عبارة)لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِين)؛ هي نتيجة منطقيّة لمقدّمة أوضحت إستحالة كلّ منهما، أن يعبد عبادة الآخر». (المصدر السّابق)

أمّا الصّور الجزئيّة الّتي تتشكّل عمارة النّصّ منها؛ فتستعرضها ضمن السّطور التّالية:

أوّلاً: هناك؛ دقيقة بلاغيّة في قوله تعالي: ﴿قُلْ يا أَيهَا الْكافِرُونَ ﴾؛ إنتبه لها الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السّلام و أشار إليها؛ حيث أورد هذه الإنتباهة، فخر الدّين الرّازيّ، في تفسيره الكبير (مفتاح الغيب)، فقال: «يا؛ نداء النفس و أي؛ نداء القلب و ها؛ نداءٌ للرّوح». (ألرّازي، ١٤١٣، ٣٢: ١٣٦)

و كأنّما استثمرت هنا، ألسّورة، الإمكانات اللّغويّة العربيّة لمخاطبة الكافرين و ذلك لإفهامهم و إكمال الحجّة عليهم. عدا هذا، فقدتمّ ايضاً؛ إستثمار الإمكانات التّنغيميّة الملائمة للخطاب؛ ذلك لأنّ «كلّ مستوي من مستويات

التّنغيم، يتطابق مع دلالة معينة في الخطاب، لتوكيدها، فلا يتوهم المرسل إليه أنّ المقصود؛ هو غيرها و عليه فالمرسل يتلفّظ بالخطاب، بالتّنغيم الّذي تستتبعه دلالة الخطاب و يحرص علي ذلك». (ألشّهري، ٢٠٠٤: ٣٢٠)

و لنفس التّعبير؛ ﴿قُلْ يا أَيهَا الْكافِرُونَ ﴾؛ صورة بلاغيّة أخري لافتة، عرض لها، ألسيّد قطب و قال: «فقد ناداهم بحقيقتهم و وصفهم بصفتهم؛ أنّهم؛ ليسوا علي دين و ليسوا بمؤمنين و إنّهم كافرون؛ فلا إلتقاء إذن بينك و بينهم في طريق». (السيّد قطب، ١٩٩٥: ٣٩٩١)

عموماً، فإنّ للفظة «ألكافرن»، دلالتها الخاصّة في الثّقافة الإسلاميّة، فهي سمة انسان تنكّر لربّه و عصاه و انقطعت صلاته معه، فبات كمن لا أصل له و لا فرع و لا ملاذ و لا ملجأ يأوي إليه؛ فقد أصبح تماماً مصداقاً لما قال له؛ سبحانه و تعالي: ﴿...وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ ﴾(الحجّ: ٣١)

ثانياً: ثمة جانب بلاغيّ آخر، في التّعبير نفسه؛ يَا أَيُّهَا، عرض له «الفخر الرّازي»؛ فقال: «إنّما قدّم يا الّذي يوجب البعد علي أي الّذي يوجب القرب و كأنّه يقول: التّقصير منك و التّوفيق منّي، ثمّ ذكرها بعد ذلك، لأنّ يا، يوجب البعد الّذي هو كالموت و أيّ يوجب القرب الّذي هو كالحيوة، فلمّا حصلا، حصلت حالة متوسّطة بين الحيوة و الموت و تلك الحالة؛ هي النّوم و النّائم، لابدّ و أن ينبّه و ها، كلمة تنبيه». (الرّازيّ، ١٤١٣، ٣٢: ١٤٣)

ثالثاً: دلاليّاً، تكشف لفظة «ألكافرون» عن مزاج القوم و حقيقة شخصيّاتهم، في كفرهم بالله و بتوحيده؛ حيث يرفضون فكرة التّوحيد، أساساً. أمّا لام العهد، فىها؛ فهي تمارس فاعليّتها، باستحضار طرفي الإتّصال؛ البدع و المتلقّي معاً.

■■■

﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ ﴾

ضمن هذا الخطاب، يتّخذ النّبيّ صلّي الله عليه و آله و سلّم، موقفاً رافضاً ممّا يذهب إليه هؤلاء في عبادة الأوثان. جاء هذا التّعبير، ضمن صياغة لغويّة خاصّة، تتمثّل أوّلاً في استخدام حرف «لا» و هي ثنائيّة الدّلالة إذ تحيل الفعل المضارع إلي الدّلالة المستقبليّة أوّلاً و تدلّ ثانياً علي نفي نسبة عبادة الأوثان عن النبيّ صلّي الله عليه و آله و سلّم. أمّا حذف المفعول لفعل «تَعْبُدُونَ»، فإنّ دلالته لا تقتصر علي كونه معلوماً. لأهل اللّغة، بل يساهم في توسعة دائرة الدّلالة و هذا يشكّل أسلوباً كلامياً؛ أطلق البلاغيّون عليه، اسم اسلوب «الاتّساع» و «الاتّساع هو مجيء المتكلّم بكلام يتّسع فيه التّأويل، بحسب ما تحمله الالفاظ و يتّسع الرّواة فِي تأويله علي قدر عقولهم بحسب قوي النّاظر فيه». (طبانه، ١٩٩٧: ٧٢٨)

﴿وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ﴾

﴿وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ ﴾

من هنا، تتوالي التّأكيدات و تتوارد رفضاً لما يعبده الكفّار، و يتمّ هذا الرّفض عن طريق عطف الآية علي سابقتها و كذلك عن طريق توظيف حرف «اللّام الّتي هي ـ كما يقول النّحاة ـ زائدة للتّوكيد».

ثمّ إنّ هذا التوكيد، رفض لما يذهب إليه الكافرون، بصيغة الجملة الإسميّة الدّالّة علي ثبوت الصّفة و استمرارها. أمّا فيما يتعلّق بالتّوكيد في هاتين الآيتين و في عموم السّورة، يقول إبن أثير، في كتابه؛ «المثل السّائر»: «إنّ معنى قوله: ﴿لا أَعْبُدُ﴾ ؛

يعني: في المستقبل من عبادة آلهتكم و لا أنتم فاعلون في ما أطلبه منكم، من عبادة إلهي ﴿وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾، أي؛ و ما كنت عابداً قطّ، فيما سلف ما عبدّتم فيه، يعني: أنّه لم يعهد منّي عبادة صنم في الجاهليّة في وقتٍ مّا، فكيف يرجي ذلك منّي في الاسلام! ﴿وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الماضي، في وقت مّا، ما أنا علي عبادته الان. (ابن اثير، بدون تاريخ، ٣: ٧)

أمّا توظيف الجملة الإسميه ـ كما أشرنا ـ فجآء دلالياً لإثبات الصّفة و استمرارها في المخاطبين؛ فالاستمرارية هي من دلالات الجملة الاسميّة؛ أمّا حذف المفعول فقد تمّ لنفس الغرض الّذي أشرنا إليه سلفاً.

■■■

﴿وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾

يرمي الإسهاب في الكلام، من خلال هذه الآيات، إلي التّأكيد علي عقيدة التّوحيد؛ بإعتبار أنّ توحيد الرّبّ؛ هو الأسّ و الأساس في العقيدة الإسلاميّة.

و فيما يتعلّق بالأغراض البلاغيّة للفظة «ما» الواردة في آيات هذه السّورة، فقيل: المراد من «ما»؛ الصّفة؛ كأنّه قال: «لَا أعبد الباطل و لَا تعبدون الحقّ». و يقول؛ العلّامة الطّباطبائيّ: «و كأنّ حقّ الكلام؛ أن يقال: و لا أنتم عابدون ما أعبده، لكن قيل: مَا أَعْبُدُ، ليطابق ما في قولهم: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾». (ألطّباطبائيّ، ٢٠٠٦، ٢٠: ١٦٣)

أمّا الفخر الرّازي؛ فهو الآخر يدلي بدلوه، في تفسير الآية، فيذكر وجوهاً عدّة؛ هي:

١. إنّ المراد منه؛ ألصّفة و كأنّه قال: لا أعبد الباطل و أنتم لا تعبدون الحقّ.

٢. إنّها تؤوّل مع الفعل بالمصدر؛ كأنّه قال: لا أعبد عبادتكم و لا تعبدون عبادتي في المستقبل و الحال.

٣. أن يكون «ما» بمعني «ألّذي» و حينئذٍ يصحّ الكلام.

٤. إنّه لمّا قال أوّلاً ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، حمل الثّانيّ ليتّسق الكلام، أو كما يقول علماء البديع: بني الكلام علي المناسبة في اللّفظ بإعتبار معني غير المعني المقصود من الأوّل، لأنّ «ما» في ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾غير «ما» في ﴿وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾. (ألرّازيّ، ١٤١٣، ٣٢: ١٤٦)

أمّا مولي فتح الله الكاشاني؛ فهو أيضاً يعرض للجانب الفنّي لهذه الآيـة؛ قـائلا: «... ﴿وَ لَا أَنْـتُمْ عَابِـدُونَ... ﴾؛ أي ما أَنْتُم عبدتم في وقت مّا ﴿مَا أَعْبُدُ﴾، ما أنا علي عبادته. و يجوز أن تكونا، تأكيدين علي طريقة أبلغ و إنّما لم يقل: ما عبدت، ليطابق «مَا عَبَدْتُمْ»، لأنّهم كانوا موسومين قبل المبعث، بعبادة الأصنام و هو لم يكن موسوماً، بعبادة اللـه. و انّما قال: لا أعبد الباطل و لا تعبدون الحقّ أو للمطابقة، فإنّ معبودهم من غير ذوي العقـول. و قيـل إنّهـا مصـدريةٌ، أي؛ لا أعبد عبادتكم و لا تعبدون عبـادتي و قيـل الأوليـان؛ بمعنـي: «الـذي» و الأخريـان؛ مصـدريتان». (ألكاشـانيّ، ١٤٢٣، ٨: ٥٥٩)

■■■

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴾

هنالك، أسلوبان بلاغيّان، في هذه الآية، عرض لهما البلاغيّون؛ هما؛

أوّلاً: تقديم «لكم» علي «دينكم» و تقـديم «لـي» علـي «الـدّين»، لإفـادة القصـر و معنـاه علـي هـذه الحـال: أنّ دينكم، مقصورٌ عليكم و ديني، مقصورٌ عليّ.

ثانياً: يعدل الخبر هنا إلي معني آخر؛ تتضمّنه العبارة؛ و هو التّهديد و التّحقير؛ كأنّ النّبيّ صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، يهدّدهم و يحذّرهم من انتهاج سبيل الباطل و ينذرهم من عاقبة أمرهم و ما يؤوّل إليه مصيرهم.

قال السّمرقنديّ في ذلك: «يعني: قد كملت عليكم الحجّة و ليس عليّ أن أجبركم علـي الاسـلام، فـاثبتوا علـي دينكم حتّي تروآ ماذا يستقبلكم غداً و أنا أثبت علي ديني الّذي أكرمني الله تعالي بـه و لا أرجـع إلـي ديـنكم أبـداً». (ألسّمرقنديّ، ١٩٩٧، ٣: ٦٠٤)

الدّلالة الحضاريّة:

لا تقتصر دلالات هذه السّورة، و بشكل عامّ دلالات النّصوص الّتي ظهرت في حِقب زمنيّة معيّنة، لا تقتصر علـي حادثة معيّنة في واقع معيّن أو طريقة محدّدة في التّعامل بل بإمكاننا أن نستل منها دلالات معاصرة، يمكننا تبنّيها و من ثمّ التّعامل علي أساسها مع الواقع القائم بشكلٍ آخر، مع مراعاة الموضوعيّة في هذا التّعامل و مـع لـزوم الصّـدق الأمانة العلميّة في التّطبيق، آخذاً بعين الإعتبار المتغيّرات الحضاريّة الّتي جعلت مـن عالمنـا المعاصـر، ظـاهرة قـد تختلف عن العالم القديم في عديد من جوانبها الحضاريّة من سياسيّة و اقتصاديّة و اجتماعيّة و حتي أخلاقيّة.

أمّا فيما يتعلّق في الدّلالات المعاصرة لسورة الكافرون و الفهم العصريّ منه؛ يقول أحد المفسّرين:

«لعلّنا نستطيع التّحرك، بعيداً في هـذا الموضـوع فـي القضـايا العامّـة؛ مـن سياسـيّة و اجتماعيّـة و اقتصـاديّة و ثقافيّة، لنميّز في طروحات الوفاق في هذه الأمور بين القضايا الكبري المرتبطة بالخطّ المستقيم و بالمصير النّهائيّ و بين القضايا الصّغري المرتبطة بالخطوط التّفصيليّة المتحرّكة في دائرة الأوضاع المتحرّكة و المراحل المتغيّرة، فلا نقدّم التّنازل عن القضايا الأولي؛ إلّا فيما يتعلّق بالأسلوب؛ ممّا يدخل في دائرة المرونة العمليّة، بينما نـدرس بعـض

التّنـازلات فـي القضـايا الأخـري، فيمـا لا يمـسّ الجـوهرة تلـك هـي دائـرة الواقعيّـة الّتـي يمكـن أن يتحـرّك فـيهـا الإسلاميّون، أمام الطّروحات الّتي تقدّم إليهم، لإنهاء النّزاع أو لإيجاد موقف مشترك مع الآخرين في بعـض المراحـل السّياسيّة في ما يطلب فيه تجميد الصّراع في وقت معيّن مع بعض الجهات أو إيجاد حالة من الوفاق السّياسيّ، أمـام بعض الشّعارات أو ما إلي ذلك ممّا قد يفيد الحركة الإسلاميّة في مواقعها السّياسيّة أو الجهاديّة و لا يضـرّ مرتكزاتهـا و مسلمّاتها الأساسيّة». (فضل‌الله، ١٤١٩، ٢٤: ٤٥٨)

ألدّلالة الأدبيّة

١. ألدّلالة العامّة:

أمّا الزّمخشريّ الّذي عرف بمعالجته الفـذّة للجوانـب الأدبيّـة للقـرآن؛ فلـه لفتـة رائعـة فـي سـياق عرضـه الفنّـي للسّورة، إذ يسلّط الضّـوء علـي بعض الدّلالات البـارزة فيمـا؛ فيقـول: «﴿لَا أَعْبُدُ﴾، أريـد بـه العبـادة فيمـا يسـتقبل، لأنّ «لَا»، لا تدخل إلّا علي المضارع، بمعني الإستقبال، كما أنّ «ما»، لا تدخل إلّا علي المضارع، بمعنـي الحـال، و المعني: لا أفعـل في المستقبل مـا تطلبونه منّي مـن عبادة آلهتكم و لا أنتم فاعلون ما أطلبه منكم من عبادة إلهـي ﴿وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، أي؛ و ما كنت قطّ، عابداً فيما سلف، عبدتم فيه. يعني: ما عهد منّي قطّ، عبادة صـنم فـي الجاهليّة، فكيف يرجي منّي في الإسلام! ﴿وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أي؛ و ما عبدتم في وقت مـا أنـا علـي عبادتـه الآن». (ألزّمخشريّ، ١٤١٥، ٤: ٨٠٨)

٢. ألتّناسب:

ثمّه دلالة ادبيّة، يمثّلها التّناسب الرّائع القائم بين المعاني الّتي توحي بها السّورة، تارة و تصرّح بـه تـارة أخـري و قد اكتشف هذا التّناسب الملفت عن جانب آخر من جوانب الإعجاز البيانيّ الّذي يتميّز به القرآن الكريم. و قد أشـار المفسّرون إلي هذا التّناسب، بعد أن انتبهـوا لهـا بـذكائهم و بـذوقهم الأدبـيّ ـ البلاغـيّ؛ فقـالوا: «معنـي الجملتـين الأوليين؛ الإختلاف التّامّ، في المعبود؛ فإله المشركين؛ الأوثان و إله محمّد صلّي اللـه عليـه و آلـه و سـلّم؛ الـرّحمن، فكيف يلتقيان! و معني الجملتين الآخرين، الاختلاف فـي العبـادة؛ فعبـادة المشـركين؛ الأحجـار و عبـادة محمّـد؛ الجبّار، فكأنّه قال: لا معبودنا، واحد و لا عبادتنا، واحدة». (ألصّابوني، ١٩٩٧، ١٥: ٣٨٠)

أمّا برهان الدّين البقاعيّ، فقد فطن إلي تناسب فنّيّ آخـر فـي السّـورة، حيـث اعتبـر هـذا التناسـب مـن معـاني تراكيب السّورة و نظمها و كذلك تراتبها و سياقاتها و أساليبها، ثـمّ عبّـر عـن هـذا التّناسـب، بقولـه: «... و مـن أعظـم الدّلائل، إعجازها و جمعها للمعانيّ في إشارتها و ايجازها، أن حاصلـها، قطـع رجـآء أهـل الكفـران، مـن أن يقـاربهم النّبي صلّي الله عليه و آله و سلّم، في أن يعدل بربّه أحداً في زمن من الأزمان و ذلك من أعظم مقاصد المناظرة لهـا، في ردّ الآخر علي أوّل الأنعام، لأنّها السّادس في العدّ؛ كما أنّ هذه السّادسة في العدّ من الآخر؛)أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً

)(الْأَنْعام: ١٤) ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾(الْأَنْعام: ١١٤) ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيْ رَبـاً وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْئٍ﴾(الْأَنْعام: ١٦٤). (ألبقاعيّ، ١٤٢٣، ٨: ٥٥٧)

النّتيجة

تتوفّر سورة الكافرون، كغيرها من السّور القرآنيّة المباركة علي ملامح أدبيّة ممتازة و خصائص بلاغيّة رائعة، تجعل منها نتاجاً نصّياً معجزاً، يقف دونه البلغاء عاجزاً و عن الإتيان بمثله قاصراً؛ كما قال سبحانه و تعالي: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾. (ألإِسْرَاء: ٨٨)

و هذه الخصائص و الملامح البلاغيّة الأدبيّة تتمثّل في صور بيانيّة و تقنيات نصّية من توازنات و تقابلات و توازيات، تساهم في توليد المعني أو إنتاج الدّلالة، رافعاً النّصّ إلي مستويً راقٍ من المتانة و الدّقّة و الجمال، كما يمتلك نصّ السّورة إمكانيّات لغويّة و لسانيّة مبهرة، كشف عنها اللّغويّون قديماً و حديثاً؛ فراحوا يستعرضون مكامنها الفنّيّة للتّدليل علي سمة الإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم.

أمّا التّوصية الّتي يقدّم بها الباحثان؛ فهي ضرورة توظيف المعطيات البلاغيّة و اللّسانيّة الجديدة و كذلك القديمة و تطبيقها علي النّصّ، للخروج بنتائج تكون مذهلة جماليّاً و دلاليّاً في النّصوص المقدّسة المتمثّلة في القرآن الكريم و كذلك في النّصوص الواردة عن الرّسول الأكرم صلّي اللّه عليه و آله و سلّم و أئمّة أهل البيت سلام الله عليهم اجمعين، تعريفاً بما اتحفوها من قيم حضاريّة، صُبّت في قوالب كلاميّة سامية، أدبيّاً و فنّيّاً؛ بحيث صارت تلك القوالب و الصّياغات تحتلّ مكانة مرقومة لاينالها أحد من أهل الفصاحة و البلاغة، بل صاروا في عجز تامّ عن الإتيان بمثله.

ألمصادر و المراجع

ألقرآن الكريم

إبن الأثير، ضياء الدّين، (١٤٠٧)، «**المثل السّائر**»، مصر، دار نهضة مصر للطّباعة و النّشر و التّوزيع.

ألبستانيّ، محمود، (١٤٢٤)، «**ألتّفسير البنائيّ**»، مشهد، انتشارات مجمع البحوث الإسلاميّة.

ألبقاعيّ، برهان الدّين، (١٤٢٣)، «**نظم الدّرر**»، قم المقدّسة، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة.

درويش، محي الدّين، (١٤٣٠)، «**إعراب القرآن**»، سوريّة، دارالإرشاد.

ألرّازيّ، فخر الدّين، (١٤١٣)، «**التّفسير الكبير**»، بيروت، مركز النّشر، مكتب الأعلام الإسلاميّ.

ألزّمخشريّ، جار الله، (١٤١٥)، «**تفسير الكشّاف**»، قم المقدّسة، نشر البلاغة.

ألسّمرقنديّ، أبواللّيث، (١٩٩٧)، «**تفسير السّمرقنديّ**»، بيروت، دارالفكر.

ألشّهريّ، عبدالهادي، (٢٠٠٤)، «**استراتيجيّات الخطاب**»، بيروت، دارالكتاب الجديدة المتّحدة.

ألصّابونيّ، محمّدعلي، (١٩٩٧)، «**قبس من نور القرآن الكريم**»، بيروت، دارالفكر.

ألطّباطبائيّ، محمّدحسين، (٢٠٠٦)، «**ألميزان في تفسير القرآن**»، بيروت، دارإحيآء التّراث العربيّ.

طبانة، بدوي، (١٩٩٧)، «**معجم البلاغة العربيّة**»، بيروت، منشورات دار إبن حزم.

ألطّبرسيّ، أبوعليّ، (١٤٠٨)، «**مجمع البيان**»، بيروت، دارالمعرفة.

ألفرج، عليّ، (١٣٧٩)، «**تكوين البلاغة**»، ايران، دارالمصطفي لإحيآء التّراث.

فضل الله، ألسَّيد محمّدحسين، (١٤١٩)، «**تفسير من وحي القرآن**»، بيروت، دار الملاك.

قطب، سَيّد، (١٩٩٥)، «**في ضلال القرآن**»، بيروت، دارالشّروق.

ألكاشانيّ، ملّا فتح الله، (١٤٢٣)، «**زبدة التّفاسير**»، قم المقدّسة، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة.

COPYRIGHTS
© 2025 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

ارجاع :فروزاني حامد، مِنْ بَلَاغَةِ ٱلْقُرآنِ ٱلْكَرِيمِ؛ سُوْرَةُ ٱلْكَافِرونَ أنمُوذَجاً، دراسات الأدب المعاصر، السنة ١٧ ، العدد ٦٧ ، الخريف ١٤٤۶ ، الصفحات ١٢٨ - ١١٧.